جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 03. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

مقومات الهوية الحضارية والتاريخية لمدينة إسطنبول

دراسة تحليلية

The Cultural and Historical Foundations of Istanbul's Identity: An Analytical Study

فاطمة الزهراء رحماني[1]
fatimazohra.rahmani@univ-relizane.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/29 تاريخ النشر: 2026/09/15
Received: 29/03/2026 published: 15/09/2026

ملخص المقال:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد المقومات العمرانية والثقافية والاجتماعية لمدينة إسطنبول، وتحليل دور المؤسسات الدينية والمدنية في تشكيل النسيج الحضري، واستقصاء استمرارية الهوية التاريخية للمدينة في مواجهة التحولات السياسية والاجتماعية، مع تقديم قراءة تركيبية تتجاوز التجزئة الموضوعية التي اتسمت بها الدراسات السابقة.

وتشير نتائج الدراسة إلى أن الهوية الحضارية لإسطنبول تقوم على تفاعل متكامل بين عناصر متعددة، أبرزها: المساجد بوصفها نقاطًا اجتماعية وثقافية، والقصور السلطانية كرموز للسلطة والفن، والأسواق والساحات التي تعزز النشاط الاقتصادي والاجتماعي، والشوارع التي تربط أحياء المدينة بعضها ببعض، وهو ما يعكس التخطيط الحضري الذكي والمتكامل الذي ميز المدينة عبر العصور.

كلمات مفتاحية: إسطنبول، الهوية الحضارية، الهوية التاريخية، المدن الإسلامية

Abstract:

This study aims to identify the urban, cultural, and social foundations of Istanbul; analyze the role of religious and civil institutions in shaping its urban fabric; and examine the continuity of the city's historical identity amid political and social transformations, while providing a comprehensive analysis that transcends the thematic fragmentation characteristic of previous studies.

The results indicate that Istanbul's cultural identity is based on an integrated interaction among multiple elements, most notably: mosques, which function as social and cultural centers; sultan's palaces, which represent authority and artistic achievement; markets and squares, which foster economic and social interaction; and streets, which connect the city's neighborhoods. Together, these elements reflect the intelligent and coherent urban planning that has shaped the city over the centuries.

Keywords: *Istanbul; cultural identity; historical identity; Islamic cities*

(1) جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر).

مقدمة:

تشكل مدينة إسطنبول أحد أبرز النماذج الحية للحواضر الإسلامية التي ما تزال تحتفظ بملامحها التاريخية والحضارية عبر تعاقب العصور، من العهد البيزنطي إلى العثماني ثم الجمهوري. ولا تُختزل أهميتها في كونها عاصمة سياسية سابقة لإمبراطوريات كبرى، بل تتجاوز ذلك لتغدو مجالاً حضارياً مركّباً تتداخل فيه الأزمنة والوظائف والدلالات الرمزية. فهي مدينة تمثل ذاكرة عمرانية حية تتجاور فيها المساجد والقصور والأسواق مع الشوارع والساحات العامة في تشكيل يعكس فلسفة عمرانية واجتماعية متكاملة، تتداخل فيها الوظائف الدينية والإدارية والاقتصادية ضمن إطار حضاريّ واحد.

انطلاقاً من ذلك، تسعى هذه الدراسة للإجابة على الإشكالية التالية: **ما هي أبرز المقومات الحضارية والتاريخية التي أسهمت في تشكيل هوية مدينة إسطنبول، وكيف انعكست هذه المقومات على معالمها العمرانية والثقافية عبر مختلف مراحلها التاريخية؟**

وللإجابة عن هذه الإشكالية، تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه أداة أساسية لفهم تطور المدينة عبر مراحلها التاريخية المختلفة، وذلك من خلال تتبع السياقات السياسية والاجتماعية المؤثرة في تشكل عمرانها. كما تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في قراءة النسيج العمراني ورصد العلاقات المكانية بين المعالم (المساجد، القصور، الأسواق، الساحات العامة)، بهدف الكشف عن دلالاتها الرمزية والوظيفية.

وإلى جانب ذلك، استُخدم منهج المعاينة الميدانية باعتباره أداة مكملة للتحليل الوثائقي، إذ أتاح التفاعل المباشر مع الفضاء الحضري ملاحظة تفاصيل لا تنقلها النصوص، مثل طبيعة التوزيع المعماري، واستمرارية الوظيفة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية لبعض المنشآت. ويأتي اختيار هذه المقاربة المنهجية انطلاقاً من قناعة بأنّ المدينة بوصفها كياناً حياً، لا يمكن فهمها اعتماداً على الوثيقة المكتوبة وحدها.

الموقع الجغرافي والإستراتيجي و أثره في البناء الحضاري لمدينة إسطنبول

1.1 الموقع الجغرافي لإسطنبول وأثره في التفاعل بين قارتي آسيا وأوروبا:

تتميّز إسطنبول بموقع جغرافي استراتيجي عند التقاء قارتي آسيا وأوروبا، حيث تمتد على ضفتي مضيق البوسفور، وتشكّل مجالًا حضريًا ذا أهمية تاريخية وجغرافية متراكمة، دون الحاجة إلى توصيفات انطباعية مثل "جسر طبيعي". وقد نشأت المدينة على الطرف الجنوبي من المضيق في الجزء الأوروبي، فوق شبه جزيرة تطل على القرن الذهبي، وهو خليج طبيعي ضيق شكّل عبر التاريخ ميناءً محميًا أسهم في تعزيز وظائفها التجارية والعمرانية، ما منحها مكانة مركزية داخل شبكات التواصل بين الشرق والغرب. (إلدم وآخرون، 2004).

ومع تطور المدينة عبر العصور، توسعت عمرانياً لتشمل الضفتين الأوروبية والآسيوية لمضيق البوسفور، مما أدى إلى تشكّل حاضرة كبرى متعددة الأقطاب ذات امتداد حضري متصل. وقد انعكس هذا التوسع على البنية التاريخية للمدينة، حيث يشير اسم "إسطنبول" في الاستعمال التاريخي إلى النواة القديمة الواقعة على شبه الجزيرة، بما تحمله من آثار بيزنطية وعثمانية، في حين تمتد المدينة الحديثة لتشمل أحياء سكنية وتجارية وصناعية على الجانبين الآسيوي والأوروبي (لويس، 1982). ويعكس هذا التمايز العمراني تراكب المراحل التاريخية للمدينة واستمرار التفاعل بين ماضيها وحاضرها، بما يؤكد قدرتها على الحفاظ على موروثها التاريخي مع التكيف مع التحولات العمرانية الحديثة (Demirkent, 2001).

2.1 التفاعل الحضاري في إسطنبول عبر العصور التاريخية:

مرّت إسطنبول بعدّة مراحل تاريخية كبرى جعلت منها إحدى أهم الحواضر العالمية؛ فقد عُرفت في بداياتها باسم بيزنطة كمستعمرة يونانية ذات موقع استراتيجي متميّز، ثم دخلت مرحلة جديدة سنة 330م عندما أسّس الإمبراطور قسطنطين الأول مدينة القسطنطينية وجعلها عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية تحت اسم "روما الجديدة". وشكّل الفتح العثماني سنة 1453م بقيادة السلطان محمد الفاتح نقطة تحوّل حاسمة في تاريخ المدينة، إذ أصبحت عاصمة للدولة العثمانية ومركزًا حضاريًا عالميًا (بكر والعبيدي، 2010). ويرجح أنّ اسم "إسطنبول" مشتق من العبارة اليونانية (eis tên polin) بمعنى "إلى المدينة"، وهو الاسم الذي شاع بين الأتراك والمسلمين، في حين استمر استعمال اسم "القسطنطينية" في الوثائق الرسمية والعملات العثمانية لقرون، إلى أن تم اعتماده رسميًا باسم إسطنبول سنة 1930م(لويس، 1982).

وعلى امتداد هذه المراحل التاريخية، اكتسبت المدينة مكانة دينية وحضارية بارزة ارتبطت بموقعها الجغرافي ودورها السياسي والثقافي، وهو ما انعكس في تنوع بنيتها العمرانية والدينية. فقد تجسّد فيها تداخل الإرث البيزنطي مع التحوّل العثماني الذي أعاد تشكيل الفضاء الحضري وفق رؤية جديدة، مع استمرار حضور هذا التراكم التاريخي في المرحلة الحديثة(Gürçay,2017) .

وتُعد إسطنبول مثالًا واضحًا على التراكم الحضاري طويل المدى، إذ تجمع معالمها بين المساجد العثمانية الكبرى، والكنائس البيزنطية التاريخية، والقصور والأسواق التقليدية التي ارتبطت بالحياة الاقتصادية والاجتماعية عبر القرون. وقد أسهم هذا التنوع في تعزيز مكانتها العالمية، حيث أُدرجت مناطقها التاريخية ضمن قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو سنة 1985، كما اختيرت عاصمة للثقافة الأوروبية سنة 2010 .(Pamukcu, 2014)وتعكس هذه المكانة استمرار الدور التاريخي لإسطنبول كحاضرة حضارية حافظت على موروثها العمراني والثقافي، مع مواصلة أداء وظائفها الثقافية والاقتصادية والعلمية عبر العصور.

البعد الديني والسياسي في المعالم الحضارية لمدينة إسطنبول

احتضنت مدينة إسطنبول معالم حضارية دينية وسياسية بارزة شكّلت محور هويتها الحضارية، حيث لم تقتصر هذه المعالم على كونها فضاءات للعبادة ومراكز للعلم فحسب، بل لعبت أيضًا دورًا في إبراز السلطة السياسية وتعزيز النفوذ العثماني، مما أسهم في ترسيخ البعد الروحي والسياسي للمدينة وتأكيد مكانتها في العالم الإسلامي.

ولو أردنا حصر معظم هذه المعالم لضاق بنا المقام، لكن التاريخ خلّد بعضا منها على وجه الخصوص، لتكون مثالاً بارزًا على الإبداع والإتقان، ولتمثل جسراً يربط بين الماضي والحاضر، مؤكدة استمرارية التراث وتطوره عبر العصور، لا سيما الجوامع والقصور التي تجسد التلاقي بين البعد الديني والسياسي في النسيج الحضاري لإسطنبول.

1.2 الجوامع:

يُعدّ البعد الديني والسياسي أحد أبرز المكونات الحضارية لمدينة إسطنبول، ويتجلّى ذلك بوضوح في الجوامع الكبرى التي شكّلت عبر التاريخ رموزًا للسلطة الدينية والعمرانية للدولة العثمانية، ومراكز لإبراز هيبة العاصمة ومكانتها داخل العالم الإسلامي. فالمشهد العمراني للمدينة يتميز بكثافة المآذن والقباب التي ترسم أفق إسطنبول وتمنحها طابعًا بصريًا خاصًا، حتى اشتهرت بكونها "مدينة المآذن"(Avcıoğlu, 2023). ويكشف الانتشار الواسع للمساجد في مختلف الأحياء عن مركزية الدين في التنظيم الحضري والاجتماعي للمدينة، حيث لم تكن الجوامع مجرد أماكن للعبادة، بل مؤسسات حضرية متكاملة ارتبطت بالحياة اليومية للسكان وبالسلطة السياسية في الوقت نفسه.

قد ارتبط تشييد أغلب الجوامع الكبرى بالعهد العثماني، خاصة في فترات السلاطين محمد الفاتح، وسليمان القانوني، والسلطان أحمد الأول، الذين حرصوا على توظيف العمارة الدينية بوصفها أداة لترسيخ الشرعية السياسية وإظهار قوة الدولة. كما أسهم كبار المعماريين العثمانيين وعلى رأسهم المعمار سنان (حرب، 1994)، في تطوير نموذج معماري جمع بين التأثيرات الإسلامية والبيزنطية، مع انفتاح تدريجي على بعض المؤثرات الأوروبية، وهو ما جعل الجوامع العثمانية تعكس هوية حضارية مركبة تجمع بين الوظيفة الدينية والرمزية السياسية والجمالية الفنية. ولا تزال هذه الجوامع تؤدي وظائفها الدينية والاجتماعية إلى اليوم، بما يؤكد استمرارية التراث العثماني داخل المشهد الحضري المعاصر.

ويُعد جامع آيا صوفيا نموذجًا بارزًا لتداخل البعدين الديني والسياسي في تاريخ إسطنبول، إذ يمثل معلمًا حضاريًا يعكس التحولات الكبرى التي عرفتها المدينة عبر العصور. فقد شُيّد في الأصل ككنيسة بيزنطية جسدت مركزية المسيحية الشرقية لأكثر من تسعة قرون، ثم حُوِّل إلى مسجد عقب الفتح العثماني سنة 1453، في خطوة حملت دلالات سياسية ورمزية تعكس انتقال السيادة من الإمبراطورية البيزنطية إلى الدولة العثمانية. وفي العصر الجمهوري، تحوّل إلى متحف سنة 1934 ضمن توجه سياسي يرمي إلى إبراز الطابع العالمي والتراثي للمدينة، قبل أن يُعاد افتتاحه مسجدًا سنة 2020، وهو ما يعكس استمرار توظيف هذا المعلم ضمن الخطاب الديني والسياسي للدولة التركية المعاصرة (منشورات رئاسة إدارة الاتصال الجمهورية التركية، 2020).

كما يكشف البناء الداخلي لآيا صوفيا عن تداخل حضاري وديني فريد، حيث تجتمع الزخارف الإسلامية والخطوط العربية والآيات القرآنية إلى جانب الفسيفساء والصور المسيحية المرتبطة بالسيدة مريم والمسيح عليه السلام، مما يجعل الجامع فضاءً يعكس تراكم الحضارات وتعايش الرموز الدينية داخل بنية معمارية واحدة. ومن ثمّ، فإن هذا المعلم لا يعبّر فقط عن التحول الديني والسياسي، بل يجسد أيضًا استمرارية الذاكرة الحضارية لإسطنبول بوصفها مدينة جامعة بين الشرق والغرب.

وفي السياق نفسه، يُمثّل جامع السلطان أحمد، المعروف بالجامع الأزرق (Mustafa Saqib, 2021)، نموذجًا آخر للترابط بين العمارة الدينية والسلطة السياسية. فقد شُيّد في مطلع القرن السابع عشر ليكون معلمًا دينيًا يعكس قوة الدولة العثمانية ومكانة السلطان أحمد الأول، كما احتفظ بوظيفته الدينية والاجتماعية داخل المدينة إلى الوقت الحاضر. ويتميّز الجامع بموقعه الاستراتيجي في قلب إسطنبول التاريخية وبقربه من مضيق البوسفور، الأمر الذي جعله عنصرًا بصريًا مهيمنًا في المشهد الحضري للمدينة (Saqib, 2021).

ويبرز البعد السياسي والرمزي لهذا الجامع من خلال تصميمه المعماري، خاصة احتوائه على ست مآذن، في سابقة معمارية عكست رغبة السلطة العثمانية في تأكيد مكانة العاصمة الدينية. كما تكشف زخارفه الداخلية والقباب الضخمة والخطوط القرآنية والأشعار الصوفية عن تداخل البعد الروحي بالفني، حيث تحولت العمارة إلى وسيلة للتعبير عن الهوية الإسلامية والثقافية للدولة العثمانية(Saqib, 2021) .

ولا يقتصر حضور البعد الديني والسياسي على هذين النموذجين، بل يمتد إلى عدد كبير من الجوامع العثمانية مثل جامع السليمانية، وجامع الفاتح، وجامع نور عثمانية، وجامع بايزيد، التي شكّلت مراكز دينية وتعليمية واجتماعية إلى جانب وظيفتها التعبدية. وقد ارتبطت هذه الجوامع بالمجمّعات العمرانية التي ضمت المدارس والمكتبات والمطابخ والخانات، مما يعكس رؤية عثمانية جعلت من المسجد محورًا لتنظيم الحياة الحضرية وإدارة المجال الاجتماعي داخل المدينة (زين العابدين، 2006).

كما ارتبطت الجوامع بالأضرحة والمقابر التي حملت بدورها دلالات سياسية واجتماعية واضحة، حيث كانت تُقام بجوار المساجد الكبرى أضرحة السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة، بما يعكس استمرار الحضور الرمزي للسلطة حتى بعد الوفاة. وقد تميزت شواهد القبور بزخارف دقيقة وأغطية رأس منحوتة تشير إلى المكانة الاجتماعية أو الوظيفية للمتوفى، في حين حملت قبور النساء زخارف نباتية وزهرية ذات دلالات رمزية واجتماعية (Freely, 2011).

وفي الحاضر، ما تزال هذه الجوامع تؤدي أدوارًا دينية وثقافية وسياحية مهمة، حيث أصبحت جزءًا من الهوية البصرية والتراثية لإسطنبول، ومجالًا لإبراز استمرارية الإرث العثماني داخل المدينة الحديثة. كما تُوظَّف هذه المعالم ضمن الخطاب الثقافي والسياسي المعاصر بوصفها رموزًا للتاريخ العثماني والتعدد الحضاري، وهو ما يؤكد أن الجوامع في إسطنبول لم تكن مجرد منشآت دينية، بل شكلت عبر مختلف المراحل التاريخية أدوات لبناء الهوية الدينية والسياسية والحضارية للمدينة.

2.2 القصور:

تمثل القصور العثمانية في مدينة إسطنبول أحد أبرز تجليات البعد السياسي للدولة العثمانية، حيث لم تكن هذه المنشآت مجرد مساكن للسلطان وأسرته، بل كانت مراكز فعلية لإدارة الحكم وصياغة القرار السياسي واستقبال الوفود الدبلوماسية. وقد عكست هذه القصور، من خلال هندستها الداخلية وتنظيم فضاءاتها، طبيعة السلطة المركزية في الدولة العثمانية، حيث تتجاور الوظيفة السياسية مع الرمزية السلطانية في إطار معماري يعبر عن هيبة الدولة واستمراريتها (عدنان عبد الرزاق،2023).

ومع التحولات السياسية التي عرفتها الدولة العثمانية ثم الانتقال إلى النظام الجمهوري، لم تفقد هذه القصور قيمتها الرمزية، بل أعيد توظيفها بوصفها فضاءات ثقافية وتاريخية مفتوحة للعموم. فهي اليوم متاحف ومواقع سياحية تتيح للزائر الاطلاع على نمط الحياة السلطانية وآليات الحكم والإدارة، بما يجعلها وسيلة لاستحضار الذاكرة السياسية للدولة العثمانية داخل المجال الحضري المعاصر، ويؤسس لاستمرارية رمزية بين الماضي والحاضر (عدنان عبد الرزاق، 2025).

ويعدّ قصر دولمة بهجة المعروف بـ قصر السلاطين (T. Cengiz Göncü ,2015) نموذجًا بارزًا على البعد السياسي للقصور العثمانية في مرحلة التحديث، إذ يعكس مرحلة انفتاح الدولة العثمانية على أوروبا وإعادة تشكيل خطابها السياسي والثقافي. فقد تم تصميم القصر وفق مزيج معماري يجمع بين الطراز العثماني التقليدي والعناصر الأوروبية، بما يعكس تحولات الذوق السياسي للنخبة الحاكمة في القرن التاسع عشر، ورغبتها في التعبير عن الحداثة دون التخلي عن المرجعية السلطانية .(Ezgi Oruç, 2023)

كما يعكس التنظيم الداخلي لقصر دولمة بهجة طبيعة السلطة في أواخر الدولة العثمانية، حيث يتوزع الفضاء إلى أقسام سياسية رسمية مثل قاعة الاستقبال وصالون المعايدة، وأقسام خاصة بالحياة السلطانية. وتبرز قاعة العرش بوصفها رمزًا مباشرًا للسلطة السياسية، بما تحمله من ضخامة معمارية وزخارف فاخرة تعكس مركزية السلطان وهيبته، في حين تؤكد العناصر الزخرفية الداخلية الطابع الاحتفالي للدولة وإرادتها في تمثيل القوة السياسية بصريًا.(Dolmabahçe Palace, 2025)

ويظهر البعد السياسي أيضًا في قصر بيلرباي (Batur, 2019) ، الذي ارتبط بوظيفة دبلوماسية واضحة منذ عهد السلطان عبد العزيز، حيث استخدم كمقر صيفي واستقبال رسمي للوفود الأجنبية، مما يعكس دوره في تمثيل الدولة العثمانية على المستوى الخارجي. وقد استمر هذا الدور خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ثم أعيد توظيفه في العصر الجمهوري ضمن البروتوكول الرسمي للدولة، قبل أن يتحول إلى متحف ومركز ثقافي يعكس استمرارية الوظيفة الرمزية للمكان (Beylerbeyi, 2024).

ويكشف التنظيم المعماري لقصر بيلرباي عن توازن دقيق بين الوظيفة السياسية والجمالية، حيث تعكس القاعات والغرف الخاصة توزيعًا يعكس التسلسل الهرمي للسلطة، بينما يظهر التداخل بين الطراز العثماني والأوروبي في الواجهات والزخارف بوصفه تعبيرًا عن التحولات السياسية والثقافية في الدولة خلال القرن التاسع عشر.

أما قصر كوتشوك سو(Küçüksu Kasrı,2025) ، فيمثل بدوره امتدادًا للبعد السياسي والثقافي للقصور العثمانية، حيث يجسد أسلوب الحياة النخبوية في القرن التاسع عشر، مع الحفاظ على الوظائف التمثيلية للدولة. فقد صُمم ليجمع بين الاستخدام اليومي والتمثيل الرمزي للسلطة، من خلال توزيع داخلي يوازن بين الوظيفة العملية والزخرفة الفنية، بما يعكس تفاعل العمارة مع التحولات السياسية والاجتماعية في تلك المرحلة.

واليوم، يمكن للزائر أن يرى في القصر تجربة فنية حية من الأسقف المزخرفة بالجبس والرسوم الملونة، إلى مواقد الرخام الإيطالي، والأرضيات الخشبية المزخرفة، والأثاث الأوروبي والسجاد، كل ذلك يجعل القصر متحفًا مفتوحًا يعكس جماليات الماضي ويتيح للزائر إدراك كيف تُترجم القيم والفنون العثمانية إلى الحاضر.

وتُعد بقية القصور العثمانية مثل قصر توبكابي، وقصر يلدز، وقصر إهلامور وغيرها (Karaköse ; Adıl Abdulameer Haweja,2022)، عناصر مكملة لبنية البعد السياسي في إسطنبول، إذ شكّلت عبر تاريخها مراكز للحكم والإقامة السلطانية، قبل أن تتحول في العصر الحديث إلى متاحف ومؤسسات ثقافية. ويعكس هذا التحول انتقال الوظيفة من المجال السياسي المباشر إلى المجال الرمزي والتاريخي، مع استمرار حضورها في تشكيل الهوية الحضارية للمدينة، بما يؤكد أن القصور في إسطنبول ليست مجرد معالم معمارية، بل هي وثائق سياسية حية تعكس تطور الدولة العثمانية وتحولاتها عبر الزمن.

3.2 الكنائس والأديرة:

تُبرز المصادر التاريخية أنّ مدينة إسطنبول المعروفة تاريخيًا بالقسطنطينية، تمثل فضاءً حضريًا استثنائيًا تداخلت فيه الأبعاد الدينية والسياسية عبر العصور، بما جعل حضور الكنائس والأديرة الأرثوذكسية جزءًا من بنية المدينة وليس مجرد مكوّن هامشي فيها. وقد تشكّلت هذه المكانة منذ العهد البيزنطي، ثم أعيد تنظيمها في المرحلة العثمانية، لتتطور لاحقًا في العصر الحديث ضمن سياقات قانونية وثقافية جديدة، وصولًا إلى الحاضر حيث أعيد توظيف هذا التراث داخل خطاب التعددية والتسامح وإدارة التراث الحضري (Kuban, 1996).

على المستوى التاريخي المبكر، مثّل الفتح العثماني سنة 1453 نقطة تحول حاسمة في إعادة تنظيم الوجود الديني المسيحي داخل المدينة، حيث عقد السلطان محمد الثاني اتفاقًا مع البطريرك جينياديوس الثاني ضمن استمرار ممارسة الشعائر الأرثوذكسية، مقابل قيود تتعلق ببناء كنائس جديدة وإظهارها العمراني. وقد أسس هذا الترتيب لنمط من "التعايش المنظم" داخل المجال الحضري العثماني (İnalcık, 1973).

ومع دخول الدولة العثمانية مرحلة الإصلاحات في القرن التاسع عشر، شهد هذا الإطار تحولًا بنيويًا مهمًا، خاصة مع مرسومي التنظيمات (1839) والإصلاحات (1856)، اللذين أقرّا مبادئ المساواة الدينية وحرية العبادة. وقد انعكس ذلك مباشرة على المجال العمراني من خلال السماح بترميم الكنائس القائمة وبناء منشآت دينية جديدة، إلى جانب توسع المؤسسات التعليمية والخيرية التابعة للمجتمع الأرثوذكسي (Gül, 2009).

في هذا السياق، تكشف الكنائس الكبرى مثل كنيسة القديس جورج (مار جرجس) في حي الفنار عن البعد المؤسسي للوجود الأرثوذكسي، إذ تُعد مقر البطريركية المسكونية ومركزًا روحيًا يرمز لاستمرارية القيادة الدينية داخل المدينة. كما تمثل كنيسة "بلاشيرن" نموذجًا لاستمرار الذاكرة البيزنطية داخل إسطنبول العثمانية والحديثة (Dumont, 2019).

ويُعدّ البعد الشعبي والديني غير الرسمي أحد أهم مظاهر هذا الحضور، ويتجلى في كنيسة "الأيازما"(Ayazma) ، أي الينابيع المقدسة المرتبطة بالكنائس، والتي اكتسبت مكانة خاصة في المخيال الديني والاجتماعي بوصفها فضاءات للشفاء والبركة، مع تداخل ديني شعبي بين المسلمين والمسيحيين داخل المدينة.(Dumont, 2019)

أما على المستوى المعماري، فقد عكست الكنائس تحولات البنية السياسية للدولة العثمانية. ففي المراحل الأولى، اتسمت بالبساطة والقيود البصرية، بينما سمحت إصلاحات القرن التاسع عشر بظهور القباب وأبراج الأجراس والزخارف، مما جعلها أكثر حضورًا في المشهد الحضري.(Kafescioğlu, 2009)

وفي السياق الحديث والمعاصر، تعرضت بعض الكنائس والمواقع المرتبطة بالأيازما لأضرار خلال أحداث 1955، لكنها استعادت تدريجيًا وظائفها الدينية والثقافية، وأصبحت جزءًا من التراث الحضري والسياحي. وفي الحاضر، تُدار هذه الفضاءات ضمن سياسة تجمع بين حماية التراث وضبط الممارسات الدينية، مع توظيفها في خطاب التعددية التاريخية داخل إسطنبول.(Dumont, 2019)

وبناءً على ذلك، يتضح أن الكنائس والأديرة الأرثوذكسية في إسطنبول لم تكن مجرد مؤسسات دينية، بل شكلت بنية حضرية متحركة تعكس تداخل الديني والسياسي والاجتماعي عبر الزمن، بما يجعلها عنصرًا أساسيًا لفهم الهوية الحضارية المركبة للمدينة.

التنظيم العمراني المتكامل وبناء الهوية الحضارية لإسطنبول

تُظهر المعاينة الميدانية لمدينة إسطنبول أن التنظيم العمراني فيها لم يكن مجرد توزيع وظيفي للمنشآت والمعالم، بل مثّل إطارًا متكاملًا لصياغة هوية حضارية خاصة بالمدينة، تشكّلت عبر تفاعل عناصر دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية امتدت من العهد البيزنطي إلى العهد العثماني ثم الجمهوري. فالهوية الحضارية لإسطنبول لم تُبنَ على عنصر واحد، وإنما نتجت عن تمازج المعالم العمرانية المختلفة داخل نسيج حضري موحّد، جعل المدينة فضاءً يعكس استمرارية التاريخ وتعدّد الانتماءات الحضارية في آن واحد.

وتتكوّن هذه الهوية الحضارية من مجموعة عناصر مترابطة؛ يتمثل أولها في البعد الديني الذي تجلّى في مركزية المساجد الكبرى والكنائس التاريخية داخل المشهد العمراني، حيث شكّلت القباب والمآذن عنصرًا بصريًا موحّدًا لأفق المدينة، في حين حافظت الكنائس البيزنطية على حضورها ضمن الذاكرة التاريخية لإسطنبول. أما البعد السياسي، فقد ظهر في القصور والمجمّعات السلطانية التي جسّدت مركزية السلطة وهيبة الدولة العثمانية، في حين مثّل البعد الاقتصادي الأسواق والخانات والموانئ التي جعلت من المدينة مركزًا للتبادل التجاري بين الشرق والغرب (Kuban, 1996).

كما برز البعد الاجتماعي والثقافي من خلال المرافق العامة كالحمّامات والحدائق والساحات والجسور، التي لم تؤدِّ وظائف خدمية فقط، بل أسهمت في تعزيز التفاعل الاجتماعي وربط أجزاء المدينة داخل إطار حضري متكامل. ومن خلال تفاعل هذه العناصر جميعًا، تشكّلت هوية حضارية متماسكة لإسطنبول تقوم على الجمع بين الدين والسلطة والتجارة والحياة الاجتماعية ضمن فضاء عمراني واحد (Gül, 2009) .

1.3 تمازج المعالم الحضارية وأثره في تشكيل الهوية العمرانية للمدينة:

تكشف الدراسة التاريخية لإسطنبول أن التخطيط العمراني خلال الحقبة العثمانية لم يكن عشوائيًا، بل قام على رؤية متكاملة هدفت إلى جعل المدينة مركزًا للإمبراطورية سياسيًا ودينيًا واقتصاديًا. ومن هنا جاء توزيع المعالم العمرانية وفق نسق يربط بين السلطة

والدين والحياة اليومية، بحيث أصبحت العمارة وسيلة لإبراز الهيبة السياسية وترسيخ الهوية الحضارية للمدينة (İrem Gençer; Çokuğraş, 2016)

فقد اتسم النسيج الحضري العثماني بكثافة عمرانية تقوم على شبكة من الأزقة والشوارع الضيقة التي تتخللها المساجد والمدارس والأسواق والحمّامات، ما أوجد تلاحمًا وظيفيًا ورمزيًا بين مختلف مكوّنات المدينة. وفي الوقت نفسه، شكّلت القباب والمآذن المرتفعة عنصرًا بصريًا موحّدًا لأفق المدينة، خاصة بعد تحويل جامع آيا صوفيا إلى مسجد، فأصبحت المعالم الدينية تمثل علامة بصرية وهوية رمزية لإسطنبول، بينما تحولت الساحات المفتوحة المحيطة بها إلى فضاءات للتفاعل الاجتماعي والحياة العامة.(Martelius)

وتؤكد المعاينة الميدانية استمرار هذا النسق حتى اليوم، إذ ما تزال المعالم الكبرى تفرض حضورها البصري والرمزي على المجال الحضري، الأمر الذي يمنح المدينة طابع الوحدة والاستمرارية التاريخية. فالمشاهد العمرانية في إسطنبول تكشف تداخل المعالم البيزنطية والعثمانية والحديثة داخل فضاء واحد، بما يعكس قدرة المدينة على احتواء تحوّلاتها التاريخية دون فقدان هويتها الأصلية. ومن ثمّ، فإن هوية إسطنبول الحضارية تقوم على فكرة التراكم الحضاري والتعايش بين الموروثات المختلفة داخل إطار عمراني متجانس (Murat Gul; Lamb, 2004).

ويتجلّى هذا التمازج الحضاري بوضوح في مجمّع مسجد السلطان محمد الفاتح، الذي لم يكن مجرد مسجد، بل مركزًا حضاريًا متكاملًا يضم المدارس والمستشفى والمكتبة ودور الضيافة، بما يعكس التصور العثماني للمدينة بوصفها فضاءً يجمع بين الدين والعلم والخدمة الاجتماعية. وقد أُحيط هذا المجمع بفضاء مفتوح واسع ومنظّم هندسيًا، الأمر الذي منح المنطقة طابعًا حضريًا متكاملًا يجمع بين الوظيفة والجمالية والرمزية السياسية .(Martelius) وهنا يظهر كيف امتزج البعد الديني بالتعليمي والاجتماعي داخل معلم عمراني واحد، مما أسهم في بناء هوية حضارية قائمة على التكامل بين مختلف وظائف المدينة.

كما يظهر هذا التداخل الحضاري والعمراني في ميدان السلطان أحمد، الذي يُعد نموذجًا حيًا للهوية المركّبة لإسطنبول. ففي هذا الفضاء تتجاور معالم تنتمي إلى حضارات ووظائف مختلفة؛ فالجامع الأزرق يمثّل ذروة العمارة العثمانية الدينية، بينما يحمل جامع آيا صوفيا الذاكرة البيزنطية والتحول الحضاري من الكنيسة إلى المسجد، في حين يجسّد قصر توبكابي مركز السلطة السياسية والإدارية للدولة العثمانية، ويعبّر البازار الكبير عن البعد الاقتصادي والتجاري للمدينة. وقد أدى اجتماع هذه العناصر داخل نطاق عمراني واحد إلى تكوين هوية حضارية متعددة الأبعاد، تندمج فيها السلطة بالدين، والتجارة بالثقافة، والتاريخ بالحياة اليومية (عدنان عبد الرزاق، 2022، ص 32).

وينطبق الأمر ذاته على ميدان بايزيد، الذي تطور منذ القرن السادس عشر ليصبح مركزًا حضريًا يجمع بين الوظائف الدينية والتعليمية والتجارية والاجتماعية. فوجود جامع بايزيد إلى جانب المدرسة والأسواق والفضاءات العامة خلق بيئة حضرية متكاملة، ثم تعززت هذه الهوية مع ظهور بوابة جامعة إسطنبول التاريخية والسوق الكبير والترام الحديث، مما يعكس استمرارية الدور الحضري للميدان وقدرته على التوفيق بين التراث والحداثة. وهكذا تتجلّى هوية إسطنبول الحضارية في قدرتها على دمج العناصر التاريخية القديمة بالبنى الحديثة ضمن نسيج عمراني واحد يحافظ على استمراريته الرمزية والوظيفية.(Yeşilkaya, 2007)

2.3 المرافق العامة ودورها في ترسيخ الهوية الحضارية:

شكّلت المرافق العامة عنصرًا أساسيًا في بناء الهوية الحضارية لإسطنبول، لأنها لم تؤدِّ وظائف خدمية فحسب، بل أسهمت في تشكيل العلاقات الاجتماعية والثقافية داخل المدينة. فالأسواق المسقوفة مثل البازار الكبير والسوق المصري لم تكن مجرد مراكز تجارية،

بل مثلت فضاءات للتفاعل الاجتماعي والتواصل الثقافي، كما ارتبطت بالمؤسسات الوقفية التي ضمنت استمرارية النشاط الاقتصادي والخدمات العامة، وهو ما عزّز البعد الاجتماعي للمدينة وربط الاقتصاد بالحياة اليومية للسكان.

ولا تقتصر أهمية المرافق العامة على الأسواق وحدها، إذ شكّلت الحمّامات العثمانية عنصرًا محوريًا في الحياة اليومية للمدينة، حيث وُزّعت في الأحياء بطريقة تضمن سهولة الوصول إليها لجميع السكان، مع الاستفادة من عائداتها في صيانة مرافق أخرى ضمن نظام الأوقاف (رفعت أبو الخاطر، 2014). ولم تكن الحمّامات مجرد مرافق للنظافة، بل كانت أيضًا فضاءات للتفاعل الاجتماعي والثقافي، ما يعكس البعد الرمزي العميق لهذه المرافق ضمن النسيج الحضري. وهكذا يظهر أن توزيع الأسواق والحمّامات لم يكن عشوائيًا، بل جزءًا من رؤية تنظيمية شاملة تربط بين الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل المدينة.

وفي السياق نفسه، شكّلت الحدائق – العامة منها والخاصة – عنصرًا مكمّلًا للأسواق والحمّامات في بنية المرافق الحضرية، بما أسهم في تكوين شبكة عمرانية متوازنة ومترابطة تعزّز البعد الاجتماعي والثقافي للمدينة. فمنذ العهد العثماني تبلور صنفان رئيسان من الحدائق: الأول وهي الحدائق المخصّصة لاستعمال السلطان، والتي سُجّلت في دفاتر Bostancı Ocağı باسم Bağça-i Hassa، وهي الحدائق السلطانية التابعة للبلاط. والثاني هي الحدائق الأخرى التي كانت تُشار إليها غالبًا في السجلات باسم bostanhane-i saire، وهي حدائق أقل ارتباطًا بالمؤسسة السلطانية المباشرة. وقد تراوح عدد الحدائق في إسطنبول خلال القرن السادس عشر بين 18 و36 حديقة، قبل أن يشهد ارتفاعًا ملحوظًا في القرن الثامن عشر، حيث بلغ ما بين 45 و55 حديقة، وهو ما يعكس تنامي الاهتمام بالفضاءات الخضراء ضمن التحولات العمرانية والاجتماعية التي عرفتها المدينة.(Şenel, 2016)

ومع تطور التنظيم البلدي في القرن التاسع عشر، جرى توزيع الحدائق العامة في مناطق متعددة لتوفير فضاءات للترفيه والأنشطة الثقافية والاجتماعية. فقد أُنشئت أول حديقة عامة في منطقة تقسيم سنة 1869، ثم تلتها حدائق أخرى في أحياء متنوّعة مثل كيسيكلي وكوتشوك تشاميلجا وحي السلطان أحمد وبشيكتاش، بما يعكس قدرة التخطيط العمراني على دمج الملكيات الخاصة والعامة ضمن شبكة حضرية متكاملة. أما الحدائق الخاصة المرتبطة بالمجمّعات السلطانية، مثل حديقة يلدز (Aksoy, 2012) وحديقة قصر توب كابي(Aksoy; Gürsoy; Sezegen, 2018) ، فقد صُمّمت لتعزيز البعد الرمزي والثقافي للعمارة السلطانية، وأسهمت في تشكيل صورة حضرية تجمع بين الجمالية الوظيفية والدلالة السياسية، حيث امتزجت الطبيعة بالمعمار في إطار يعكس هيبة السلطة واستمرارية تقاليدها.

وتكتمل صورة الهوية الحضارية في إسطنبول من خلال شبكة الجسور، التي تمثل حلقة وصل بين مختلف أجزاء المدينة. فقد أعادت الجسور الحديثة صياغة مضيق البوسفور كعنصر اندماج حضري، محوّلة الفواصل الطبيعية إلى عناصر تواصل ووحدة. ومن أبرز الأمثلة جسر شهداء 15 تموز (جسر البوسفور سابقًا)(Karakoç, 2015) ، الذي يربط بين الجانب الأوروبي والآسيوي، ويجسد الدور الاستراتيجي لإسطنبول كمدينة وسيطة تاريخيًا. كما يوضح جسر السلطان محمد الفاتح (Ibrahimgil, 2012) دور التنظيم الحضري في تسهيل اندماج الأحياء المحيطة ضمن النسق الحضري العام، بينما ربطت جسور أخرى مثل جسر غلطة بين ضفتي القرن الذهبي، وشكلت محاور اقتصادية واجتماعية تضم الأنشطة التجارية والمطاعم .(Özen, 2011) وبهذا، تؤكد الجسور أن توزيع المرافق العامة في إسطنبول لم يكن مجرد بنية تحتية، بل جزءًا من شبكة متكاملة تربط بين الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتسهم في ترسيخ الهوية الحضارية الموحدة للمدينة.

التنوع الاجتماعي والثقافي ودوره في ترسيخ الهوية الحضارية لإسطنبول

1.4 التعدد العرقي والديني ودوره في تشكيل الهوية الحضارية:

تُعدّ إسطنبول من أبرز المدن التاريخية التي تشكّلت هويتها على أساس التعدد العرقي والديني، حيث تداخلت في فضائها الحضري عناصر ثقافية وإثنية متعددة عبر قرون متعاقبة. فمنذ خضوعها لسلطة الإمبراطورية البيزنطية، عرفت المدينة تنوعًا سكانيًا ملحوظًا، تمثّل في الأغلبية المسيحية الأرثوذكسية إلى جانب جماعات لاتينية ويهودية، فضلًا عن تجار وافدين من مناطق البحر المتوسط. وقد أتاح موقعها الجغرافي الاستراتيجي أن تكون مركزًا للتفاعل بين شعوب وثقافات مختلفة.(Gürçay,2017).

وخلال الحقبة العثمانية، وعلى الرغم من أن فتح مدينة إسطنبول وما تبعه من سياسات عمرانية ودينية أسهم في ترسيخ الإسلام بوصفه الدين الرسمي والعنصر المهيمن في المجال العام، فإن المدينة لم تفقد طابعها التعددي. فقد ظلّت إسطنبول فضاءً حضريًا متعدد الأديان والأعراق، حيث تعايش المسلمون مع جماعات مسيحية ويهودية ضمن إطار قانوني نظّمه نظام الملل.

وبينما ارتبط الإسلام بمؤسسات الحكم والشرعية السياسية وسكان القصر والنخبة الإدارية، احتفظت الطوائف غير المسلمة بوجودها الديموغرافي ومؤسساتها الدينية والاجتماعية، مما جعل العاصمة العثمانية نموذجًا مركزيًا يجمع بين رسمية الهوية الإسلامية للدولة وواقع التنوع الديني والثقافي الذي ميّز بنيتها المجتمعية (الجندي، 2020).

ويرجع هذا التنوع إلى عاملين رئيسين: أولًا، انتشار الأتراك من آسيا الوسطى نحو الأناضول، حيث استوعبوا خلال رحلتهم العديد من الثقافات والممارسات المحلية ضمن إطار ثقافتهم المتشكّلة، ما أضفى على المجتمع العثماني طابعًا متعدد الثقافات والدين. ثانيًا، عند وصول الأتراك إلى الأناضول وإسطنبول، كانت هناك أنظمة دينية محلية قائمة، وكان السكان الأصليون جزءًا منها، ما ساهم في استمرار هذا التعدد الديني ضمن النسيج الاجتماعي للمدينة (رحماني، 2021). وبناء على ذلك، يمكن القول إن البعد الديني للدولة العثمانية وخصوصًا في إسطنبول، كان متنوعًا ومتعدد الطبقات، متوازيًا مع تنوع ثقافتها وسكانها، مما جعل المدينة فضاءً للتعايش الديني والتفاعل بين مختلف الجماعات في إطار الدولة.

وقد انعكس هذا التعدد على البنية العمرانية والاجتماعية لإسطنبول، حيث توزعت الجماعات في أحياء ارتبطت بخصوصياتها الدينية والثقافية، دون أن يعني ذلك انعزالها التام. فقد ظلت الأسواق والفضاءات العامة مجالات للتفاعل اليومي والتبادل الاقتصادي والاجتماعي، وهو ما أفرز شبكة علاقات متداخلة أسهمت في ترسيخ نموذج حضري قائم على التنظيم والتعايش. ومنه لم يكن التعدد مجرد واقع ديموغرافي، بل مثّل عنصرًا بنيويًا في صياغة الشخصية الحضارية للمدينة وفي ضمان قدر من الاستقرار الاجتماعي عبر آليات التنظيم والتواصل.

ورغم التحولات السياسية والديموغرافية التي عرفتها إسطنبول خلال القرن العشرين، بما في ذلك تراجع أعداد بعض الأقليات التاريخية نتيجة المتغيرات الإقليمية والدولية، ظلّ التعدد العرقي والديني عاملًا مؤثرًا في تشكيل هوية المدينة. فقد حافظت بعض الطوائف على مؤسساتها الدينية والثقافية، واستمرت رموز حضورها في المشهد الحضري، في الوقت الذي استقبلت فيه المدينة موجات سكانية جديدة أعادت صياغة مفهوم التعدد في سياق حديث. وعليه، يمكن النظر إلى التعدد العرقي والديني بوصفه مكوّنًا مستمرًا في تاريخ إسطنبول، أسهم في بلورة نموذج حضري قادر على استيعاب الاختلاف ضمن إطار من التنظيم والتعايش التاريخي المتجدد (نور الدين، 1998).

2.4 إسهام العمارة والفنون في تجسيد الهوية الحضارية:

يشكّل التنوع الثقافي في العمارة والفنون أحد الركائز الأساسية في بلورة الهوية الحضارية والتاريخية لمدينة إسطنبول .فقد كانت المدينة منذ العهد البيزنطي فضاءً لتلاقح الثقافات بين الطراز الروماني والبيزنطي، حيث امتزجت العناصر المعمارية التقليدية مع الفنون الزخرفية والديكورات ذات الدلالات الدينية والسياسية المتعددة. ومن ثم، لم تكن المباني الدينية والمدنية –كالمساجد والقصور والكنائس والأسوار – مجرد منشآت بنيوية، بل تحوّلت إلى مرآة تعكس التفاعل المعقد بين الشرق والغرب وتعدد المكوّنات السكانية والثقافية للمدينة. ومع صعود الدولة العثمانية وازدهارها في القرن الخامس عشر، اكتسبت العمارة في إسطنبول بعدًا جديدًا، إذ دمجت الطرز البيزنطية مع الطابع السلجوقي، منتجة معالم حضارية تجمع بين الجمال الفني والوظيفة العملية (تيسير خلف، 2023)

وفي عهد سليمان القانوني بلغت العمارة العثمانية ذروتها الكلاسيكية على يد المعماري سنان (1489–1588)، ثم تحوّلت في القرن الثامن عشر إلى أسلوب الباروك الأوروبي، وصولًا إلى الأسلوب الإمبراطوري المستوحى من الكلاسيكية الأوروبية الجديدة، ما أتاح إدخال عناصر غربية دون فقدان الطابع المحلي التقليدي.

لم يقتصر التنوع الثقافي في إسطنبول على العمارة الإسلامية فحسب، بل شمل أيضًا الكنائس الأرمينية واليونانية، التي مثلت وثائق حية لتاريخ المجتمعات المسيحية في المدينة. فقد شكّلت هذه المعالم محطات حضارية تعكس التفاعل بين المكوّنات الثقافية والدينية المختلفة، وأسهمت في صياغة هوية حضارية متعددة الطبقات، تجمع بين البُعد الديني والجمالي والاجتماعي.(Kasap ; Göker, 2024)

كما امتد هذا التنوع إلى الأسواق التاريخية، مثل البازار الكبير والسوق المصري التي كانت مراكز للنشاط الاجتماعي والفني، حيث احتضنت عروضًا موسيقية وفنونًا زخرفية، وجمعت الحرفيين والتجار من خلفيات متنوعة، ما يعكس النسيج متعدد الثقافات للمدينة (عدنان عبد الرزاق، 2023). وانعكس التنوع الثقافي أيضًا في المطبخ التقليدي لإسطنبول، الذي امتزجت فيه التأثيرات الشرقية بالغربية، والتركية باليونانية والفارسية (Yiğit Ay, 2016) ، ليصبح جزءًا أساسيًا من الهوية الحضارية متعددة الأبعاد للمدينة، مؤكّدًا الدور المركزي للعمارة والفنون في رسم صورة متكاملة لتاريخ وثقافة إسطنبول.

في العصر الحديث، واصلت إسطنبول الحفاظ على تراثها الفني والمعماري من خلال ترميم المعالم التاريخية وتنظيم المهرجانات والمعارض الفنية، بالإضافة إلى استضافة فعاليات دولية تسلّط الضوء على تنوعها الثقافي الغني. وتعبّر هذه الاستمرارية بين الماضي والحاضر عن قدرة المدينة على دمج التراث مع المعاصرة، ما يجعل من إسطنبول نموذجًا حيًا للهوية الحضارية المتجددة والقادرة على مواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية دون فقدان جذورها التاريخية.

3.4 دور اللغة والتعليم والمعرفة في بناء الهوية الحضارية:

شكّل التعدّد اللغوي في مدينة إسطنبول أحد الركائز الأساسية التي ساهمت في بناء هويتها الحضارية خلال الحقبة العثمانية، إذ لم يكن مجرد ظاهرة تواصلية، بل إطارًا ثقافيًا ومعرفيًا أسهم في صياغة ملامح المدينة بوصفها مركزًا عالميًا متعدد الثقافات. فقد عكس هذا التعدد تنوع مكوّناتها الاجتماعية والدينية والثقافية، وأتاح فضاءً للتفاعل بين لغات الثقافة الإسلامية الثلاث: العربية والتركية والفارسية، إلى جانب لغات الجماعات غير المسلمة كاليونانية والأرمنية والعبرية (مخلوف، 2011)، مما أسهم في تشكيل نسيج حضري قائم على التفاعل والتكامل لا على الإقصاء.

وقد تعزز هذا الدور في عهدي السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، حيث نشطت حركة الترجمة بين اللغات الإسلامية ذاتها، ثم من اللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية في مجالات الطب والفلك والعلوم الطبيعية والجغرافيا (مخلوف، 2011). ولم يكن هذا

النشاط مجرد نقل للمعارف، بل أسهم في إعادة إنتاجها ضمن سياق عثماني، مما أضفى على الهوية العلمية للمدينة طابعًا تركيبيًا يجمع بين التراث الإسلامي والانفتاح على المعارف الوافدة.

كما تجلّى أثر التعدد اللغوي في المؤسسات التعليمية والثقافية(Boyacioğlu, 2015) ، من مدارس ومكتبات ومجالس علم، حيث دُرست النصوص بلغات متعددة وتداولوها العلماء والطلاب من خلفيات دينية وإثنية مختلفة. وأسهمت مكتبات كبرى من أبرزها مكتبة السليمانية (عزة، 2008)، في حفظ هذا التراث المتعدد اللغات وإتاحته، الأمر الذي رسّخ صورة إسطنبول كفضاء جامع للمعرفة.

وبذلك لم يكن التعدد اللغوي عنصرًا هامشيًا في تاريخ المدينة، بل كان أداةً مركزية في بناء هويتها الحضارية؛ إذ أتاح تفاعلًا مستمرًا بين الثقافات، وأسهم في تكوين منظومة قيم تقوم على التعايش والانفتاح والمرونة، وهي سمات أصبحت جزءًا أصيلًا من الشخصية التاريخية لإسطنبول ومكانتها في المجالين الإسلامي والعالمي.

ورغم التحول الذي شهدته إسطنبول منذ أواخر عمر الدولة العثمانية، وانتقالها من تعددية لغوية عثمانية واسعة إلى سياسة "التتريك" اللغوي الممنهج، مع الإبقاء على بعض الاستثناءات القانونية للأقليات المعترف بها(العزاوي، 2003)، فإنّ هذا التحول لم يُفضِ إلى قطيعة كاملة مع إرثها المتعدد اللغات. بل سرعان ما أعادت المدينة إنتاج هويتها الحضارية في إطار جديد، مستندة إلى جامعاتها ومؤسساتها التعليمية ومراكزها الثقافية التي اضطلعت بدور محوري في صون تراثها المعرفي وإعادة تفعيله.

فقد غدت إسطنبول فضاء أكاديميا وثقافيا يحتضن محاضرات ومعارض وندوات بلغات متعددة، في تعبير عن تفاعل مستمر بين الإرث التاريخي ومتطلبات الحداثة، وعن انفتاح على البحث العلمي والتبادل الثقافي بين مختلف الأجيال والجماعات. كما تواصل المكتبات والمراكز البحثية مثل: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية – إرسيكا (IRCICA)(Durukal ,2001)، مركز البحوث الإسلامية (ISAM)(Altikulaç,2001) وغيرها، في إنجاز الدراسات والمشاريع العلمية التي تُعنى بتاريخ المدينة وتنوعها الثقافي، بما يعكس استمرار حضور التعدد اللغوي بوصفه مكوّنًا بنيويًا في شخصيتها الحضارية.

خاتمة:

تُبرز الدراسة أن مدينة إسطنبول ليست مجرد فضاء جغرافي، بل هي نموذج حي للهوية الحضارية التي تنسج ملامحها عبر التفاعل بين التاريخ والمكان والإنسان. لقد شكّل التراكم التاريخي المتنوع – من الحقبة البيزنطية مرورًا بالعهد العثماني وصولًا إلى العصر الحديث – هويةً معقدة ومتكاملة، تجمع بين العناصر المادية واللامادية، بين المعمار والفنون والممارسات الاجتماعية، بحيث تتضح المدينة ككيان حي يعبّر عن أصالة الماضي ومرونة الحاضر.

كما أنّ استمرارية هذه الهوية لا تعتمد فقط على الحفاظ على المعالم المادية، بل على فهمها كرموز ثقافية وروحية مرتبطة بالذاكرة الجماعية. فالعمارة والفنون والطقوس الاجتماعية، وحتى التقاليد اليومية، كل هذه العناصر تشكّل شبكة متشابكة من القيم والمعاني، تعكس التفاعل بين الثقافات المختلفة والقدرة على التكيف مع التغيرات الزمنية والسياسية.

وتؤكد الدراسة كذلك أن إسطنبول مثال حي على قدرة المدن التاريخية على المزج بين الأصالة والحداثة، حيث تمثل الهوية الحضارية قوة دافعة للحفاظ على التراث وتعزيز الانتماء الثقافي، وتفتح آفاقًا واسعة للبحث في فهم العلاقات بين التراث والهويات المعاصرة. ومن هذا

المنطلق، تصبح إسطنبول ليس فقط مرجعًا أكاديميًا لدراسة تطور المدن التاريخية، بل نموذجًا لفهم كيفية صون الذاكرة الحضارية واستدامة قيمها عبر الزمن.

إن هذه القراءة التحليلية تؤكد على أن الهوية الحضارية لإسطنبول ليست ثابتة أو جامدة، بل هي عملية ديناميكية متجددة، تعكس قدرة المدينة على الصمود أمام التحولات والتحديات، وتجعل من دراسة مقوماتها أداة أساسية لفهم أعمق للتفاعل بين التاريخ والثقافة والمجتمع، بما يعزز قيمة البحث الأكاديمي في التراث الحضاري والتاريخي.

المصادر والمراجع:

1. إسماعيل سيد علي (جويلية 2010)، آيا صوفيا الكنيسة... المسجد... المتحف، مجلة التراث، ع 131، ص ص 04- 13.
2. إلدم إدهم وآخرون (2004)، المدينة العثمانية بين الشرق والغرب حلب، إزمير وإسطنبول، تعريب: رلى ذبيان، الرياض: مكتبة العبيكان.
3. بكر منذر نعمان والعبيدي قاسم (2010)، إسطنبول ألق الماضي...عبق وجمال الحاضر...إشراقة المستقبل، مجلة فيلاديفيا، ع 07، الأردن.
4. الجندي خالد عبد القادر (2020)، الأقليات الدينية في الدولة العثمانية المسيحية- اليهودية- الأرمينية، تركيا: *IKSAD*.
5. حرب محمد (1994)، العثمانيون في التاريخ والحضارة، القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي.
1. خلف تيسير (13 ماي 2023)، العمارة العثمانية من النمط السلجوقي إلى الكلاسيكية الأوروبية الجديدة، جريدة العربي الجديد، ع 3176، السنة التاسعة.
6. رحماني فاطمة الزهراء (2021)، صورة الإسلام في التكوين الحضاري للدولة العثمانية، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مج 03، ع 02، ص ص 81- 105.
7. رفعت أبو الخاطر رولى (جانفي- جوان 2014)، الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، مجلة إنسانيات، ع 63- 64، ص ص 67- 96.
8. العابدين محمود زين (2006)، عمارة المساجد العثمانية، بيروت: دار قابس.

عبد الرزاق عدنان (05 أوت 2022)، سوقا إسطنبول المسقوفان تحف معمارية لا تتكرر، جريدة العربي الجديد، ع 2895، السنة الثامنة.

2. عبد الرزاق عدنان (15 ماي 2023)، القصور الرئاسية التركية جولة بين غرف وممرات التاريخ والحاضر، جريدة العربي الجديد، العدد 3178، السنة التاسعة.
3. عبد الرزاق عدنان (23جانفي 2025)، قصور إسطنبول أسرار السلطنة العثمانية وعمارتها الفريدة، جريدة العربي الجديد، العدد 3797، السنة الحادية عشرة.
9. العزاوي قيس جواد (2003)، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط2، بيروت: الدار العربية للعلوم.
10. عزة حسن (2008)، المكتبة السليمانية في إستانبول أعظم مجمع مخطوطات التراث الثقافي العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 83، ج 2، ص ص 409- 424.
11. مخلوف ماجدة (2021)، الدولة العثمانية من الإصلاح إلى الحداثة، ط1، القاهرة: دار البشير.
12. مسجد آيا صوفيا أمانة السلطان الفاتح محمد خان كنز الإنسانية المشترك، منشورات رئاسة إدارة الاتصال برئاسة الجمهورية التركية، إسطنبول، 2020.
13. نور الدين محمود (1998)، الأقليات الدينية والعرقية في تركيا، المجتمع والكيان والتحديات، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع 24، ص ص 67- 90.

References :

1. Aksoy Yildi; Gürsoy Özge; Sezegen Ayşegül; Teymur Ibrahim, (2018), Palace Gardens in Istanbul; The example of Topkapi, International journal of architecture and urban studies, Cilt 03, Sayı 01, P P 38-52.
2. Aksoy Yıldız, (2012), Gardening in Ottoman Turks, International journal of electronics; mechanical and mechatronics engineering, Vol 2, N 04, PP 345-351.
3. Altikulaç Tayyar, (2001), Islâm Araştirmalari Merkezi, Islam Ansiklopedisi, Cilt 23, Istanbul, p p 44- 46.
4. Avcıoğlu Nebahat, (2023) The Külliye as Hypotext: a New Reading of Ottoman Imperial Mosques and Tombs, Journal of Material Cultures in the Muslim World, Vol. 4, Issue 2, p p 230- 254.
5. Batur Afife,(2019), Beylerbeyi Sarayı Kıyıdan Tepelere Uzanan Bir Sahil Saray, Araştırma Makalesi, Sayı: 17, PP 139 – 161.
6. Beylerbeyi Sarayı, Milli Saraylar Başkanlığı, İstanbuL, 2024.

7. Boyacioğlu Fuat,(2015), The Historical development of the foreign language education in Ottoman Empire, Procedia - Social and Behavioral Sciences 174, P P 651 – 657.
8. Demirkent Işin,(2001), İstanbul Marmara bölgesinde Türkiye'nin en büyük şehri ve aynı adı taşıyan küçük bir ilin merkezi. ISLAM Ansiklopedisi, 23 Cilt , P P 205-212.
9. Dolmabahçe Sarayı, Milli Saraylar Başkanlığı, İstanbuL, 2025.
10. Durukal Zeynep,(2001), Islâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştirma Merkezi, Islam Ansiklopedisi, Cilt 23, Istanbul, P P 54- 56.
11. Ezgi Oruç Eli,(2023/2024), Reviving ottoman interior design: tracing cross-cultural influences and contemporary resurgence (19th century - present), Dipartimento di architettura e design corso di laurea in designcomunicazione visive, P 29.
12. Freely Jhon,(2011), A History of Ottoman Architecture, Boston: WIT press, P 29- 30.
13. Gençer Ceylan İrem, Çokuğraş Işıl,(2016), Regulation of Urban Space in the Ottoman State: The Case of Istanbul (1820–1900), MEGARON, Cilt 11, Sayi 1, 2016, P P 01- 14.
14. Göncü T. Cengiz,(2025), Dolmabahçe sarayı'nın inşa süreci, mekân ve teşkilat, Doktora tezi, Istanbul üniversitesi, Istanbul.
15. Gul Mehmet Murat; Richard Lamb,(2004), Urban Planning in Istanbul in the Early Republican Period, Architectural Theory review, vol 09, no 01, PP 59- 81.
16. Gürçay Serda,(2017), Istanbul'un Inanç ve Inanışlarına Panoramik bir yaklaşım, Aydın Insan ve Toplum Dergisi, 3(1), 35-56.
17. Gül Murat, *The Emergence of Modern Istanbul: Transformation and Modernisation of a City, London, I.B. Tauris, 2009*.
18. Ibrahimgil Mehmet Zeki,(2012), Üsküp Fatih Sultan Mehmet Köprüsü-Taş Köprü/Vardar Köprüsü, Motif Akademi Halkbilimi Dergisi, 5(10),P P 46-54.
19. İnalcık, H. (1973). *The Ottoman Empire: The classical age 1300–1600*. Weidenfeld and Nicolson.
20. Karakoç Ercan,(2015), Boğaziçi Köprüsü, in book: Büyük Istanbul Tarihi, Publisher: Istanbul Kültür A.Ş Istanbul, p p 519-525.
21. Karaköse Hasan;Adıl Abdulameer Haweja Hüda,(2022), Osmanli Padişahlarinin Mirasi (Saraylar, Köşkler ve Kasrlar), Araştırma Makalesi, Cilt: 4 Sayı: 3, Istanbul, 2022, PP 179 – 201.
22. Kafescioğlu, Ç. (2009). Constantinopolis/Istanbul: Cultural encounter, imperial vision, and the construction of the Ottoman capital. Penn State University Press.
23. Kasap Serdar; Göker Parisa,(2024), Istanbul Armenian Churches and Their Architectural Formations, International Journal of Social and Humanities Sciences Research (JSHSR), 11 (104), 2024, P P 600-607.
24. Kuban Doğan,(1996), *Istanbul: An Urban History*, İstanbul, Economic and Social History, Foundation of Turkey.
25. Küçüksu Kasrı, Milli Saraylar Başkanlığı, İstanbuL, 2025
26. Martelius Johan, Istanbul's Urban public space continuity and connections, p 09.
27. Özen Ibrahim,(2011), Galata Köprüleri ve Yeni Galata Köprüsü, Itüdergisi/d Mühendislik, Cilt 10, Sayı4, 35-46, p p 35- 46.
28. Pamukcu Zeynep,(14/01/2014), Istanbul as the European Culture of Capital, Seminar on Culture and Cultural Industries, Department of Sociology.
29. Saqib Mustafa,(2021), Istanbul ve Herat : Sultanahmet Camii ve Herat Ulu Camii'nin bir karşılaştırmalı değerlendirmesi , Araştırma Makalesi, Cilt: 4 Sayı: 2, p p 330-*334*.
30. Şenel Serkan,(2016), Osmanlı'da Bahçe ve Hasbahçe Kültürü, Şehir ve İrfan Araştırmaları Dergisi, Sayı 3, P P 74.
31. Yeşilkaya Neşe Gürallar,(2007), From a Courtyard to a Square: transformation of the Beyazit Meydani in the early nineteenth century Istanbul, Metujfa, (24: *I*), pp 71- 92.
32. Yiğit Yusuf; Ay Emine,(2016), Osmanli Mutfak Kültürü, 3rd International Congress on social sciences, China to Adriatic, October 27-30, 2016, Institution of Economic development and Social Researches Turkey, p p 08- 22.